موقع فلسطين
www.falasteen.com

نشرنا لكتاب السيد شاحاك لا يعنى أننا نؤيد ما يطرحه فى كتابه

الفصل الثالث

مقدمة

هذا الفصل مخصص لوصف مفصّل أكثر للبنية اللاهوتية – الدينية لليهودية الكلاسيكية (1). ولكن من الضروري لنا، قبل الشروع في هذا الوصف، أن نبدد، على الأقل، بعضاً من التصورات المغلوطة التي نشرت باللغات الأجنبية كافة تقريباً (أي، غير العبرية) روايات عن اليهودية، خصوصاً التصورات التي بتّها هؤلاء الذين يشيعون عبارات متداولة حالياً، مثل "التقاليد اليهودية – المسيحية" أو "القيم المشتركة للأديان التوحيدية".

وإنني، لاعتبارات تتعلق بالمجال المتوافر، سأكتفي بالتفصيل، مع أهم هذه الأوهام الباطلة الشائعة في وسط عامة الناس، ألا وهي: "أن الديانة اليهودية، كانت وما زالت، ديانة تؤمن بإله واحد. والآن، وكما يعرف العديد من علماء التوراة، وكما تكشف بسهولة ، القراءة الدقيقة للتوراة، فإن وجهة النظر هذه التي لا علاقة لها بالتاريخ، وجهة نظر خاطئة تماماً. ففي العديد من أسفار التوراة، إن لم يكن في معظمها، هناك إقرار واضح، بصحة وجود، وبقوة، "آلهة آخرين"، ولكن يهوه، وهو أقوى هذه الآلهة (2)، يشعر بغيرة شديدة من منافسيه، ويمنع شعبه من عبادتهم (3). أما وجود الآلهة كافة، غير يهوه، فلا ينكره إلا بعض الأنبياء اللاحقين، في فترة متأخرة جداً في التوراة (4).

ولكن ما يهمنا ليس اليهودية التوراتية فحسب، بل اليهودية الكلاسيكية؛ ومن الواضح تماماً، ولو أن الأمر غير مُدرك على نطاق واسع، بأن اليهودية الكلاسيكية، خلال البضع مئات من السنوات الأخيرة، كانت في القسم الأكبر منها، أبعد ما تكون عن الديانة الموحدة الصرفة. ويمكن قول الشيء نفسه، عن المبادئ الحقيقية السائدة في الأرثوذوكسية اليهودية في يومنا الحاضر، وهي اليهودية التي تشكل استمراراً مباشراً لليهودية

الكلاسيكية. ولقد اندثر الايمان بإله واحد بانتشار الصوفية اليهودية (الكابلاه) التي نمت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وحققت مع نهاية القرن السادس عشر، نصراً كاملاً تقريباً، في مراكز اليهودية كافة. وكان على عصر التنوير اليهودي، الذي نشأ من أزمة اليهودية الكلاسيكية، أن يقاتل ضد هذه الصوفية وتأثيرها، أكثر من أي أمر آخر، ولكن نفوذ الكابلاه بقي هو الغالب (5) في الأرثوذوكسية اليهودية الحديثة، وخصوصاً في وسط الحاخامات. فحركة غوش ايمونيم، على سبيل المثال، تستوحي، الى حد كبير، أفكار الصوفية اليهودية، الكابالية.

لذلك، فإن معرفة هذه الأفكار وفهمها، أمر مهم لسببين اثنين: السبب الأول وهو أن المرء لا يستطيع من دون ذلك، فهم المعتقدات الحقيقية لليهودية في نهاية فترتها الكلاسيكية، والسبب الثاني هو أن هذه الأفكار تلعب دوراً سياسياً معاصراً مهماً، بالنظر الى كونها تشكل جزءاً من نظام المعتقدات الجلي للعديد من السياسيين المتدينين، بمن فيهم معظم قيادات غوش ايمونيم، وبالنظر الى تأثيرها غير المباشر على العديد من القيادات الصهيونية للأحزاب كافة، بما فيها اليسار الصهيوني.

وبحسب الكابالاه لا يحكم الكون إله واحد بل عدة آلهة، لها شخصياتها وتأثيراتها المختلفة، منبعثة من العلّة الأولى النائية والمعتمة، ويستطيع المرء إذا ما حذف الكثير من التفاصيل، أن يلخص النظام كما يلى: انبثق أو وُلد من العلة الأولى، إله ذكر أولاً، يدعى "الحكمة" أو "الأب"، ثم إلهة أنثى تدعى "المعرفة" أو "الأم". وقد وُلد من اقتران هذين الاثنين، زوج من الآلهة الأصغر: الابن، ويُطلق عليه اسماء عديدة من بينها "الوجه الصغير" أو "المقدس المبارك": والابنة، وتسمى أيضاً "السيدة" (أو "ماترونيت"، وهي كلمة مشتقة من اللاتينية) و"شخينة"، و"الملكة"، وما الى ذلك من أسماء. وعلى هذين الالهين أن يتحدا، ولكن مكائد الشيطان، وهو شخصية مهمة ومستقلة في هذا النظام، تمنع اتحادهما. أما الخليقة فقد تولتها العلة الأولى من أجل أن تتيح اتحادهما، ولكنهما يصبحان على شقاق أكبر من أي وقت، بسبب السقوط، وقد تمكّن الشيطان فعلاً، من الاقتراب كثيراً من الابنة الالهية، وتمكن حتى من اغتصابها (أما في الظاهر أو في الواقع – فالآراء تختلف حول هذا الأمر). أما خلق الشعب اليهودي فقد جرى من أجل إصلاح الكسر الذي سببه آدم وحواء، وقد أحرُز ذلك لبرهة قصيرة تحت جبل سيناء: الإله الذكر الابن، الذي تقمص موسى، اتحّد مع الإلهة شخينة. ولسوء الحظ فقد تسببت خطيئة العجل الذهبي مرة أخرى، بشقاق في الألوهة؛ إلا أن توبة الشعب اليهودي أصلحت ذات البين، الى حد ما. وعلى نحو مماثل، يُعتقد بأن كل حادثة في التاريخ اليهودي التوراتي مرتبطة باتحاد الزوج الإلهي أو بشقاقه، وأن الفتح اليهودي لفلسطين والاستيلاء عليها من الكنعانيين، ثم بناء الهيكلين الأول والثاني، هما أمران ملائمان بصفة خاصة لاتحادهما، بينما تدمير الهياكل ونفي اليهود عن الأرض المقدسة، ليس إلا مجرد إشارات خارجية تدل لا على

الشقاق الإلهي فحسب، بل أيضاً على "العدْو الحقيقي وراء البغاء مع آلهة غرباء": فالابنة تكاد تقع في قبضة الشيطان، فيما يصطحب الابن شخصيات انثوية مختلفة الى فراشه، بدلاً من زوجته الحقيقية.

وواجب اليهود الاتقياء أن يعيدوا بواسطة صلواتهم وطقوسهم الدينية، الوحدة الإلهية الكاملة، بشكل اتحاد جنسي بين الإله الذكر والإلهة الأنثى (6). وهكذا تُتلى الكابالية التالية قبل أداء معظم الأفعال الطقوسية، التي ينبغي لكل يهودي ورع تأديتها عدة مرات في اليوم: "من أجل المجمع (7) [الجنسي] للمقدس المبارك وشخينته. . . " وقد رُتبت صلوات اليهودية أيضاً، بحيث تشجع على هذا الاتحاد الجنسي، ولو مؤقتاً، فحسب. وتتطابق أجزاء متوالية من الصلاة تطابقاً صوفياً، مع المراحل المتوالية لهذا الاتحاد: ففي لحظة من اللحظات، تقترب الإلهة مع جارياتها، وفي لحظة أخرى يضع الإله ذراعه حول عنقها ويداعب صدرها، وفي نهاية المطاف، يفترض أن تكون عملية الجماع قد حصلت.

فالصلوات والطقوس الدينية الأخرى، بحسب تفسير الكاباليين، مكرّسة لخداع ملائكة مختلفين (متخيّلين كآلهة ثانويين يتمتعون بدرجة من الاستقلال)، أو لاسترحام الشيطان. وعند لحظة معينة في صلاة الصباح، تُتلى بعض الآيات بالآرامية (عوضاً عن العبرية المعهودة أكثر) (8). ويفترض أن تكون هذه التلاوة وسيلة لخداع الملائكة الذين يشغّلون البوابة التي تدخل منها الصلوات الى السماء، والذين يملكون القوة على سد الطريق في وجه صلوات الأتقياء. فالملائكة لا تفقه إلا العبرية وتستعصي عليها الآيات الأرامية؛ ولأنها بليدة الذهن الى حد ما (إذ يُفترض بأنها أقل حذاقة من الكاباليين)، فإنها تفتح البوابة، فتدخل لحظة فتحها، الصلوات بما فيها الصلوات كافة التي تُليت بالعبرية. ولنأخذ مثلاً آخر: قبل وجبة الطعام، وبعدها، يمارس اليهودي التقي طقس غسل اليدين، وهو يتمتم بتبريك خاص. ويكون اليهودي في إحدى هاتين المناسبتين في حالة عبادة الله، بتشجيعه للاتحاد الإلهي بين الابن والابنة؛ ولكنه في المناسبة الأخرى، يكون في حالة عبادة الشيطان، الذي يحب الصلوات والطقوس اليهودية محبة كبيرة، والى درجة أنه عندما يُقدم له بعضها، ينشغل بها لبعض الوقت فينسى أن يضايق الابنة الإلهية، ويعتقد الكاباليون فعلاً، بأن بعض التضحيات التى تُحرق فى الهيكل هى تضحيات مخصصة للشيطان. وعلى سبيل المثال، فإن الثيران السبعة المخصية التي يُضحّى بها خلال الأيام السبعة لعيد الشهادة (Tabernacles) (9)، يفترض أن تكون ثيراناً مقدمة للشيطان نفسه بصفته حاكماً للأغيار كافة (10)، من أجل إبقائه منشغلاً الى حد لا يستطيع معه التدخل في اليوم الثامن، عندما تقدم التضحية لله. ويمكننا أن نعطي أمثلة عديدة أخرى من هذا النوع.

وينبغي لنا أن نسجل بعض نقاط بخصوص هذا النظام وأهميته، حتى نفهم اليهودية فهماً صحيحاً، أن في فترتها الكلاسيكية، أم في تورطها السياسي الحالي، في الممارسة الصهيونية.

أولاً، ومهما يمكن قوله في نظام الكابالاه هذا، فإنه نظام لا يمكن أن يُعتبر موحّداً، يؤمن بإله واحد، إلا إذا كان المرء مستعداً لاعتبار الهندوسية أو الديانة اليونانية – الرومانية القديمة أو حتى ديانة مصر القديمة، ديانة تقول بالإله "الواحد".

ثانياً، تتوضح الطبيعة الحقيقية لليهودية الكلاسيكية بالسهولة التي جرى بها تبني هذا النظام. فالايمان والمعتقدات (باستثناء القومية منها)، يلعبان دوراً صغيراً للغاية في اليهودية الكلاسيكية. والأهمية الأولى، للعمل الطقسي أكثر مما هي للمغزى الذي يفترض أن يكون له، أو المعتقد الذي يرتبط به. لذلك، ففى الأوقات التى رفضت فيها أقلية يهودية متديّنة، قبول الكابالاه (كما هي الحال اليوم)، يستطيع المرء أن يشاهد بعض اليهود وهم يؤدون طقساً دينياً معيناً، معتقدين بأنه فعل عبادة لله، ويشاهد بعضهم الآخر يؤدي الطقس نفسه لكن بنيّة استرحام للشيطان – لكن ما دام الطقس المؤدّى هو نفسه، فيستطيعون جميعاً أداء الصلاة معاً والبقاء أعضاء في جماعة المؤمنين نفسها، مهما كانت الكراهية التي قد يكنونها لبعضهم بعضاً. أما إذا ما تجرأ أحدهم على إدخال تجديد في "طريقة" غسل الأيدي (11)، بدلاً من "القصد" المرتبط بطقس غسل الأيدي، فإن انشقاقاً دينياً حقيقياً، سوف ينجم عن ذلك بالتأكيد.

ويمكن قول الشيء نفسه حول الصيغ المقدسة كافة لليهودية. فالمعنى في أحسن الأحوال، أمر ثانوي ما دام الطقس باقياً بتمامه ولم يُمس. ولنأخذ المثل التالي: إن الصيغة اليهودية الأكثر قدسية، "اسمعي إسرائيل، إن الرب إلهنا، والرب واحد"، والتى يتلوها كل يهودي متدين بضع مرات في اليوم، يمكنها في وقتنا الحاضر، أن تعني أمرين متناقضين؛ إذ يمكنها أن تعني بأن الرب "واحد" حقاً، ويمكنها أن تعني أيضاً، بأن مرحلة معينة في اتحاد الإلهين، الذكر والأنثى، قد أحرزت، أو أنها في طور التشجيع بالتلاوة الصحيحة لهذه الصيغة. ولكن عندما يُقدم يهود من جماعة المؤمنين المُصلحين، على تلاوة هذه الصيغة بأي لغة أخرى غير العبرية، يغضب الحاخامات الأرثوذكس جميعاً، غضباً شديداً حقاً، سواء أكانوا من المؤمنين بالوحدة، أم بالاتحاد الجنسي الإلهي.

وأخيراً، فإن لكل هذا أهمية كبيرة في إسرائيل (وفي غيرها من المراكز اليهودية) حتى في وقتنا الحاضر. فالمغزى الكبير الذي يُعطى لما هو مجرّد صيغ (مثل "قانون القدس")؛ وأفكار غوش ايمونيم وحوافزها؛ واللزوم الكامن وراء كراهية الأغيار الذين يعيشون في فلسطين؛ والموقف الجبري إزاء محاولات الدول العربية لإحقاق السلام – كل هذا وسواه من سمات

السياسة الصهيونية، المحيّرة لكثير من ذوي النوايا الطيبة، والذين يكونون فكرة خاطئة عن اليهودية الكلاسيكية، كل هذا أقرب الى فهمنها عندما ندرجه على هذه الخلفية الصوفية والدينية. ولكن عليّ أن أحذّر من السقوط في التطرف الأخر، ومحاولة تفسير كل السياسة الصهيونية على أساس هذه الخلفية. إلا أنه من الواضح، بأن مدى تأثيرات هذه الخلفية يتفاوت. فقد كان بن – غوريون بارعاً في التلاعب والمناورة بها، بطريقة مضبوطة من أجل غايات محددة. ولكن ما أحدثه الماضي من تأثير على الحاضر في عهد بيغن، كان أكثر من ذلك بكثير، إلا أن ما ينبغي أن يحاذره المرء هو تجاهل الماضي وتأثيراته، لأنه بمجرد معرفته بهذا الماضي يستطيع أن يتجاوز قوته العمياء.

تفسير التوراة

سوف يتبيّن من المثل السابق أن معظم ما يعتقده الناس، الذين يفترض أن يكونوا أناساً مطّلعين، بأنهم يعرفونه عن اليهودية قد يكون مضللاً تماماً، إلا إذا كانوا يستطيعون قراءة العبرية. فكل التفاصيل التي وردت أعلاه يمكن العثور عليها في النصوص الأصلية، أو في بعض الحالات، في الكتب الحديثة المكتوبة بالعبرية لقراء متخصصين نوعاً ما. وعبثاً يحاول المرء العثور عليها باللغة الإنكليزية، خصوصاً في تلك الأماكن من النصوص التي أدى فيها حذف حقائق اجتماعية على درجة من الأهمية، الى تشويه الصورة بكاملها.

وهناك فكرة أخرى عن اليهودية، خاطئة وشائعة، خصوصاً، في وسط المسيحيين، أو في وسط أناس متأثرين جداً، بالتقاليد والثقافة المسيحية. وهذه الفكرة هي الفكرة المضللة بأن اليهودية "ديانة توراتية"؛ وبأن للعهد القديم في اليهودية، المكانة المركزية نفسها، والسلطة الشرعية نفسها، التي للانجيل لدى المسيحية البروتستانتية وحتى الكاثوليكية.

وهذا مرتبط، مرة أخرى، بمسألة التفسير. فقد رأينا تساهلاً كبيراً في الأمور المتعلقة بالمعتقد، ولكن العكس تماماً هو الصحيح بالنسبة الى التفسير الشرعي للنصوص المقدسة. فالتفسير هنا راسخ رسوخاً صارماً – ولكن بالاستناد الى التلمود وليس الى التوراة نفسها (12). والعديد من الآيات التوراتية، وربما كان معظمها، الذي يوصي بالأعمال والفرائض الدينية، آيات "تفهمها" اليهودية الكلاسيكية والأرثوذوكسية في وقتنا الحاضر، بمعنى مغاير تماماً، بل حتى مناقض لمعناها الحرفي كما هو مفهوم لدى المسيحيين أو غيرهم من قارئي العهد القديم، الذين لا يرون إلا النص الصريح، والانقسام نفسه موجود في إسرائيل، في الوقت الحاضر، بين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الدينية اليهودية، وبين الذين تلقوا تعليمهم في مدارس عبرية "علمانية"، حيث يُدرس عموماً، المعنى الصريح للعهد القديم.

ولا يمكن فهم هذه النقطة المهمة إلا من خلال الأمثلة. وسوف يُلاحظ بأن التغييرات في المعاني لا تتخذ كلها الاتجاه نفسه، من وجهة النظر الأخلاقية، كما يُفهم هذا المصطلح اليوم. ويدعي المدافعون عن اليهودية بأن تفسير التوراة، الذي يعود بالأصل، الى الفريسيين، ليُثبت من ثمّ، في التلمود، هو تفسير متحرر دائماً، أكثر من المعنى الحرفي. ولكن بعض الأمثلة أدناه، تظهر بأن الأمر ليس كذلك على الإطلاق.

1- دعونا نبدأ بالوصايا العشر بالذات. يُفهم من الوصية الثامنة، "لا تسرق" (الخروج 15:20)، بأنها تنهى عن "سرقة" (أي خطف شخص يهودي. والسبب في ذلك أن جميع الأعمال، التي تنهى عنها الوصايا العشر في التوراة، هي بحسب التلمود، جرائم عقوبته الموت. أما سرقة الممتلكات فهي ليست جريمة عقوبتها الموت (فى الوقت الذي يسمح فيه القانون التلمودي لليهود بخطف الأغيار) – ومن هنا كان هذا التفسير للوصية الثامنة. ولكن جملة مطابقة تقريباً – "لا تسرق" (ليفيتيكوس 11:19) يُسمح لها بالاحتفاظ بمعناها الحرفي.

2- الآية الشهيرة القائلة "العين بالعين والسن بالسن" الخ. (الخروج 24:21)، تُفهم على أنها تعني "مال العين لقاء العين"، أي دفع غرامة عوضاً من القصاص الجسدي.

3- وها هنا حالة شهيرة من حالات تحويل المعنى الحرفي الى نقيضه تماماً. فالنص التوراتي يحذر صراحة من التحازب مع جوقة تنادي بقضية غير عادلة: "ولا تتبع الجماهير بفعل الشرّ؛ ولا تتكلم في قضية تخضع فيها للكثيرين من أجل انتزاع حكم" (الخروج 2:23) فقد انتُزعت هذه الوصية من مضمونها، وفُسِّرت كأمر يحذو حذو الأكثرية!

4- أما الآية القائلة "لا تغلي الجدي في حليب أمه" (الخروج، 19:23)، فقد فُسّرت كحظر على مزج أي نوع من اللحوم مع أي نوع من الحليب أو من منتجات الحليب. وبما أن هذه الآية نفسها مكررة في موضعين آخرين من الأسفار الخمسة في العهد القديم، فإن مجرد هذا التكرار فُهم على أنه منع ثلاثي يحظر على اليهودي (1) أكل مزيج من هذا النوع؛ (2) طبخ مزيج من هذا النوع لأي غرض كان؛ (3) والاستمتاع به أو الاستفادة منه بأي شكل من الأشكال. (13)

5- أُعطيت في حالات عديدة، مصطلحات عامة، مثل "رفيقك" و "غريب" وحتى "رجل"، معاني شوفينية حصرية. فالآية الشهيرة "أحب رفيقك كما تحب نفسك (ليفيتيكوس 18:19) فُهمت من اليهودية الكلاسيكية (وارثوذوكسية يومنا الحاضر)، كأمر بمحبة الرفيق اليهودي وليس أي إنسان آخر. وعلى نحو مماثل، فإن الآية القائلة

"ولا تقف ضد دم رفيقك" (المصدر نفسه، 16)، يُفترض أن تعني بأن على المرء ألا يقف بلا مبالاة عندما تكون حياة (دماء) رفيق يهودي في خطر؛ ولكن كما سنرى في الفصل الخامس، يحظر على اليهودي عموماً، إنقاذ حياة الأغيار لأنهم ليسوا رفاقه. أما الوصية الكريمة التي تقضي بترك لمامات الحقل والكرم "للفقير وللغريب" (المصدر نفسه 9-10) فتُفسر كوصية تُشير حصراً، الى الفقراء اليهود أو الى الفقراء الذين تحولوا الى اليهودية. وتبدأ قوانين التحريم المتعلقة بالجثث بالآية القائلة، "هذا هو الشرع، عندما يموت رجل في خيمة. فإن كل من يدخل الى الخيمة . . . سيكون نجساً لمدة سبعة أيام" (العدد 16:19)، ولكن كلمة "رجلاً" (آدم) فُهمت على أنها تعني "يهودي"، بحيث تكون الجثة اليهويدة هي المحرمة فحسب، (أي أنها بخسبة ومقدسة في آن). وبالاستناد الى هذا التفسير، يكنّ اليهود المتدينون أجلالاً سحرياً كبيراً للجثث وللمقابر اليهودية، ولكنهم لا يكنون أي احترام للجثث والمقابر غير اليهودية. وهكذا، فقد دُمرت في إسرائيل المئات من المقابر الإسلامية تدميراً كاملاً (وفي إحدى الحالات كان التدمير من أجل إيجاد مُتسع لتشييد فندق هيلتون تل – أبيب)، فيما كانت هناك صيحات احتجاج كبيرة لأن المقبرة اليهودية قد تضررت في جبل الزيتون الخاضع للحكم الأردني. والأمثلة من هذا النوع عديدة الى حد لا يمكننا معه أن نستشهد بها كلها. وسوف نبحث في الفصل الخامس بعض النتائج غير الانسانية الناجمة عن هذا النوع من التفسير.

6- ولننظر أخيراً، في فقرة من الفقرات النبوية الأجمل، وهي إدانة اشعيا (Isaiah) الرائعة للرياء وللطقوس الجوفاء وحضه على كرم الأخلاق. فإحدى الآيات في هذه الفقرة (اشعيا 15:1)، تقول: "عندما تبسط يديك نحوي سأشيح بعيني عنك؛ وعندما تؤدي صلواتك العديدة لن أسمع: فيداك مخضبتان بالدماء". وبما أن الكهنة اليهود كانوا "يبسطون أيديهم" عندما يباركون الناس أثناء خدمة الصلاة، فيفترض أن تعني هذه الآية الكاهن الذي يرتكب جريمة قتل غير مقصودة، يسقط حقه في "بسط يديه" للمباركة (حتى ولو تاب)، لأنه مخضّبة بالدم.

من الواضح تماماً حتى من هذه الأمثلة، أن اليهود الأرثوذكس (أو اليهود كافة، قبل حوالي العام 1780) عندما يقرأون التوراة، فإنهم يقرأون كتاباً مختلفاً تماماً. ويحمل معاني مختلفة كلياً عن التوراة كما يقرأه غير اليهود أو اليهو من غير الأرثوذكس. وهذا التمييز ينطبق حتى على إسرائيل، على الرغم من أن الفريقين يقرآن النص بالعبرية. وقد أكدت التجربة هذا الأمر تكراراً، خصوصاً منذ عام 1967. فالعديد من اليهود في إسرائيل (وفي أماكن أخرى)، الذين ليسوا من الأرثوذوكس، ولا يملكون إلا شيئاً قليلاً من المعرفة التفصيلية بالديانة اليهودية، حاولوا تعيير الإسرائيليين الأرثوذكس

(أو اليمينيين المتأثرين تأثراً شديداً بالدين) حتى يقلعوا عن موقفهم اللاإنساني تجاه الفلسطينيين، وذلك بالاستشهاد لهم بآيات من التوراة بمعناها الإنساني البسيط الواضح.

ولكن تبين دائماً، بأن حججاً من هذا النوع ليس لها أي تأثير مهما كان طفيفاً على هؤلاء الذين يتبعون اليهودية الكلاسيكية؛ فهم ببساطة، لا يفهمون ما يُقال لهم، لأن النص التوراتي يعني لهم شيئاً مختلفاً تماماً عما يعنيه للآخرين جميعاً.

فإذا كانت مثل هذه الفجوة في الفهم والتفاهم موجودة في إسرائيل حيث يقرأ الناس العبرية ويستطيعون الحصول الفوري على المعلومات الصحيحة إذا أرادوا ذلك، يستطيع المرء أن يتخيل عمق التصور المغلوط في الخارج، ولنقُل، في وسط الناس الذين تثقفوا على التقاليد المسيحية. في الواقع، كلما قرأ امرؤ كهذا التوراة أكثر، كلما قلّت معرفته أو معرفتها باليهودية الأرثوذوكسية، لأن هذه اليهودية تعتبر العهد القديم نصاً لصيغ مقدسة ثابتة لا تتغير، تلاوتها عمل جزاؤه عظيم، ولكن معانيها تُحدد برمتها، في مكان آخر. وكما قال هامبتي دامبتي لأليس: إن الذي يقف وراء مسألة من يستطيع تحديد معاني الكلمات، هو السؤال الحقيقي التالي: "من سيكون السيّد؟".

بنية التلمود

لذلك ينبغي أن يكون مفهوماً فهماً واضحاً، بأن التلمود، أو ما يُسمى بالتلمود البابلي، حتى نكون دقيقين، هو مصدر المرجعية للممارسات اليهودية الكلاسيكية كافة (والأرثوذوكسية في يومنا الحاضر)، والقاعدة المحددة لبنيتها الشرعية. أما باقي الأدب التلمودي (بما فيه ما يُسمى تلمود القدس أو تلمود فلسطين) فإنه يعمل كمرجع إضافي أو مكمّل.

ولا نملك هنا الدخول في وصف مفصل للتملود وللأدب التلمودي، بل سنحصر أنفسنا في طرح بعض النقاط الرئيسية التي نحتاجها في مجادلتنا. ففي الأساس، يتألف التلمود من قسمين: الأول، المشناه – وهو مجموعة قوانين موجزة تقع في ستة مجلدات، ينقسم مجلد منها الى بضعة أبحاث في مواضيع معينة، مكتوبة بالعبرية، وقد حُرّر في فلسطين، في حوالي العام 200م، مستخلص من مواد قانونية أوسع كثيراً (شفوية في الغالب)، جرى تأليفها خلال القرنين السابقين. أما القسم الثاني، وهو القسم الغالب الى حد كبير، فهو "الجماره"، وهي سجل واسع لمناقشات تتناول المشناه أو تدور حولها. وهناك مجموعتان متوازيتان تقريباً من "الجماره"، أُلّفت إحداها في بلاد ما بين النهرين (بابل) بين العام 200م والعام 500م تقريباً؛ أما المجموعة الأخرى فقد أُلّفت في فلسطين بين

العام 200م تقريباً، وثمة تاريخ آخر غير معروف، ولكن قبل العام 500م بوقت طويل. والتلمود البابلي (أي المشناه بالإضافة الى الجماره البابلية)، أكثر شمولاً وأفضل تنسيقاً من التلمود الفلسطيني، ويُعتبر وحده نهائياً ومُعتمداً. أما التلمود المقدسي (الفلسطيني)، فقد أولي قطعاً مكانة أدنى كمرجع شرعي، مع عدد من المؤلفات المجموعة والمصنفة، التي تُعرف بمجملها بـ"الأدب التلمودي" وتضم المواد التي استبعدها محررو التلمودين.

أما باقي التلمود والأدب التلمودي فقد كُتبا، وخلافاً للمشناه، بمزيج من العبرية والآرامية، ولكن الآرامية هي اللغة الغالبة في التلمود البابلي. والتلمود لا يقتصر على المسائل الشرعية، إذ من دون أي ترتيب أو سبب ظاهر، يمكن للبحث الشرعي أن ينقطع فجأة، يقطعه ما يشار اليه كـ "قصة" (اغاداه) – وهي مزيج من النوادر والحكايات عن حاخامات أو أناس عاديين، وشخصيات توراتية وملائكة وعفاريت وسحر وأعاجيب (15).

لقد اعتبرت هذه الفقرات القصصية دائماً (حتى من التلمود نفسه)، وعلى الرغم من تأثيرها الشعبي الكبير في اليهودية، اعتُبرت ذات قيمة ثانوية. فالأهمية العظمى بالنسبة الى اليهودية الكلاسيكية، هي للأقسام الشرعية في النص، وخصوصاً البحث الذي يتناول القضايا التي تُعتبر قضايا تنطوي على مشاكل. فالتلمود نفسه يحدد الفئات اليهودية المختلفة تحديداً تصاعدياً كالتالي: يندرج في الفئة الأدنى اليهود الذين هم على جهل مطبق، يليهم الذين لا يعرفون إلا التوراة، ثم هؤلاء الملمّون بالمشناه أو الاغاداه، ومن ثم الطبقة المتفوقة التي درست "الجماره"، والقادرة على البحث في القسم الشرعي منها، وهي الطبقة الصالحة لقيادة اليهود في الأمور كافة.

ويمكن وصف النظام الشرعي في التلمود كنظام شامل كلية، وسلطوي صارم، ومع ذلك قابل للتطور غير المحدود ولكن من دون أي تغيير في قاعدته العقائدية. فهذا النظام يغطي كل ناحية من نواحي الحياة اليهودية، الفردية والاجتماعية، وبتفصيل مسهب عادة، مع جزاءات وعقوبات مخصصة لكل خطيئة أو مخالفة لأحكام الشرع يمكن تصورها. والأحكام الأساسية لكل مشكلة من المشاكل، هي أحكام محددة تحديداً متعنتاً، ولا يمكن التشكيك فيها. أما ما يمكن التشكيك فيه، وقد بُحث باستفاضة، فهو تفصيل هذه الأحكام وتعريفها العملي. ودعوني أعطي بعض الأمثلة على ذلك:

"عدم القيام بأي عمل" يوم السبت. ومفهوم "العمل" هنا، معرّف على أساس أنه يشتمل على 39 نوعاً من الأعمال على وجه التحديد، لا أكثر ولا أقل. ومعيار التضمين في هذه القائمة لا علاقة له بمشقّة عمل معين؛ إنها بكل بساطة، مسألة تعريف عقائدي، وإن أحد أنواع العمل المحظور هي الكتابة. وهنا يثار السؤال: ما هو عدد الأحرف التي ينبغي للمرء

كتابتها ليرتكب خطيئة الكتابة يوم السبت؟ الجواب: حرفان. وهل تظل الخطيئة هي نفسها بغض النظر عن اليد التي استُخدمت؟ الجواب: كلا. إلا أن حظر الكتابة قد عُزز للاحتراس من الوقوع في الخطيئة، بحظر ثانوي يحرم لمس أي أداة من أدوات الكتابة يوم السبت.

وهناك عمل نموذجي آخر محظور أداؤه يوم السبت، ألا وهو طحن القمح، ويستنتج من هذا الحظر، بالقياس عليه، بأن أي نوع من الطحن مهما كان، هو ممنوع. وهذا المنع معزز بدوره، بحظر مفروض على مزاولة التطبيب يوم السبت (إلا في الحالات التي يتشكل فيها خطر على حياة فرد يهودي)، وذلك للاحتراس من ارتكاب خطيئة سحن عقار من العقاقير. ولا جدوى من الإشارة الى انعدام وجود خطر كهذا في زماننا الحديث (أو أنه لم يكن موجوداً في حالات عديدة، حتى في أزمنة التلمود). والتلمود كتعزيز للتعزيز، يمنع التلمود صراحة، العقاقير السائلة والمشروبات المنعشة في يوم السبت. فما جرى تثبيته يبقى ثابتاً الى الأبد، ومهما كان منافياً للمعقول. وقد كتب ترتاليان، وهو من آباء الكنيسة الأوائل، يقول: "إنني أؤمن بها لأنها منافية للمعقول". ويمكن لهذا القول أن يخدم كشعار لأكثرية الأحكام التلمودية، بإبدال كلمة "أؤمن" بكلمة "أمارس".

ويوضح المثل التالي توضيحاً أفضل مستوى السخف الذي بلغه هذا النظام. فأحد نماذج العمل المحظورة أيام السبت هو الحصاد. وقد جرى توسيع هذا الحظر، بالتماثل، ليشمل كسر غصن من شجرة. وبالتالي، يحظر ركوب الخيل (أو أي حيوان آخر)، كاحتياط ضد إغراء كسر غصن من شجرة واستخدامه لِلَمز الدابة. ولا جدوى من المجادلة بالقوةل بأنك تملك سوطاً جاهزاً، أو أنك تنوي ركوب الخيل في مكان لا يوجد فيه شجر. فالمحظور يبقى محظوراً أبداً. إلا أن هذا الحظر يمكن أن يوسع ليصبح أكثر تشدداً: ففي أزمنتنا الحديثة أصبح ركوب الدراجة محظوراً أيضاً يوم السبت، لأنه يشبه ركوب الخيل.

أما المثل الأخير الذي أورده فيوضح كيف تستخدم الأساليب نفسها أيضاً، فى حالات نظرية صرفة، لا يوجد لها، فى الواقع، تطبيق يمكن تصوره. فخلال وجود الهيكل كان يسمح لرئيس الكهنة بأن يتزوج فتاة عذراء فحسب.

وعلى الرغم من أنه لم يعد يوجد هيكل أو رئيس كهنة خلال الفترة التلمودية بكاملها تقريباً، فإن التلمود يكرّس أحد أكثر مناقشاته تعقيداً (وغرابة)، للتعريف الدقيق لمصطلح "العذراء" الصالحة للزواج من رئيس كهنة. ولكن ماذا بالنسبة الى المرأة التي فض غشاء بكارتها عرضاً؟ وهل يختلف الأمر إذا كان الحادث قد حصل قبل عامها الثالث أم بعده؟ ونتيجة اصطدامها بقطعة معدنية أو خشبية؟ وهل كانت تتسلق شجرة؟ وإذا كانت تفعل، هل كانت تتسلق الشجرة صعوداً أز نزولاً؟ وهل وقع الحادث بصورة

طبيعية أم غير طبيعية؟ كل هذه المسائل والكثير غيرها، تبحث بتفصيل مُسهب. وكان على كل عالم من علماء اليهودية الكلاسيكية أن يتضلّع في مئات المشاكل من هذا النوع. وكان العلماء الكبار يُقيّمون على أساس قدرتهم على تطوير هذه المشاكل أكثر فأكثر، لأن الأمثلة أظهرت لنا بأن المجال متاح دائماً أمام المزيد من التطور – ولو باتجاه واحد – وفي الواقع، فقد استمر مثل هذا التطور، بعد الصياغة النهائية للتلمود.

ولكن هناك فارقان كبيران بين الفترة التلمودية (التي تنتهي في حوالي العام 500م) والفترة اليهودية الكلاسيكية (ابتداء من حوالي العام 800م). فالمنطقة الجغرافية المعكوسة في التلمود، منطقة محصورة، بينما المجتمع اليهودي الذي يعكسه مجتمع "كامل"، قاعدته الزراعة اليهودية. (وينطبق ذلك على بلاد ما بين النهرين وعلى فلسطين أيضاً). وعلى الرغم من أن يهوداً كانوا في ذلك الوقت يسكنون في أنحاء الامبراطورية الرومانية، وفي مناطق عديدة من الامبراطورية الساسانية، فإنه من الواضح تماماً من النص التلمودي، أن تأليفه – على مدى خمسة قرون – كان شأناً محلياً محضاً؛ ولم يشارك فيه أي عالم من بلدان أخرى غير بلاد ما بين النهرين وفلسطين، كما أن النص لا يعكس الأوضاع الاجتماعية خارج هاتين المنطقتين.

ولا يُعرف إلا القليل عن أوضاع اليهود الاجتماعية والدينية خلال القرن الثلاثة الفاصلة بين الفترتين. ولكننا نجد ابتداء من العام 800م، عندما عادت وتوافرت معلومات تاريخية أكثر تفصيلاً، بأن السمتين الاثنتين المذكورتين أعلاه، قد انعكستا. فقد بات معترفاً بالتلمود البابلي (والى درجة أقل بكثير، بباقي الأدب التلمودي) كمرجع معتمد يُدرس ويُطور في المجتمعات اليهودية كافة. وكان المجتمع اليهودية قد مرّ في الوقت نفسه، بعملية تغيير عميقة: ومهما كانت هذه العملية وحيثما كانت، فإنها لا تشمل الفلاحين.

أما النظام الاجتماعي الناجم عن هذا التغيير، فسوف نبحثه في الفصل الرابع وسنصف هنا، كيف تكيّف التلمود مع أوضاع اليهودية الكلاسيكية – الأوسع جغرافياً بما لا يقاس، والأضيق اجتماعياً بما لا يقاس، والمختلفة اختلافاً جذرياً في أي حال. وسوف نركز، برأيي، على أهم طرق هذا التكيف، ألا وهي الفتاوي.

الفتاوي

إن النظام التلمودي، وكما لحظنا أعلاه، نظام عقائدي غاية في التزمت، ولا يسمح بأي تخفيف في أحكامه حتى عندما تصل الى حدود السخف بفعل تغيّر الظروف. وفي حالة التلمود – وبخلاف حالة التوراة – فإن المعنى الحرفي للنص ملُزم، ولا يسمح للمرء بالاسترسال في تفسيره. لكن

أحكاماً مختلفة من أحكام التلمود أصبحت في فترة اليهودية الكلاسيكية، مسائل لا يمكن الدفاع عنها بالنسبة الى الطبقات الحاكمة اليهودية – الحاخامات والأغنياء. فابتُدعت لمصلحة هذه الطبقات طريقة للخداع المنتظم تحافظ على حرفية الشرع في الوقت الذي تنتهك فيه روحه وقصده. وفي رأيي، فقد كان هذا النظام المنافق للفتاوي أهم الأسباب المؤدية الى الحط من مقام اليهودية في عهدها التاريخي الكلاسيكي. (أما السبب الثاني فكان الصوفية اليهودية التي مورست في أي حال، لفترة من الزمن أقصر بكثير). ونحن بحاجة مرة أخرى، الى أمثلة توضح كيفية عمل هذا النظام:

1- تقاضي الفائدة (الربا).

2- السنة السبتية.

3- الحلب يوم السبت.

4- المحاصيل المختلطة.

5- المواد المخمرة.

6- أغيار يوم السبت (الغوييم).

7- النواحي الاجتماعية للفتاوي.

تقاضي الفائدة (الربا)

يحظر التلمود على اليهودي حظراً متشدداً، وتحت طائلة العقاب الشديد، تقاضي فائدة على قرض يُعطى ليهودي آخر. (وبحسب أكثرية المراجع التلمودية، فإن الواجب الديني يفرض تقاضي فائدة عالية الى أقصى حد ممكن، على قرض يُعطى لغير يهودي). وهناك أحكام مفصّلة تفصيلاً مسهباً، يطاول المنع فيها حالات مستبعدة أشد الاستبعاد، يمكن فيها للدائن اليهودي الاستفادة من المدين اليهودي. ويصم التلمود اليهود كافة المتواطئين في معاملة غير مشروعة من هذا النوع، بمن فيهم الكاتب والشهود، بوصمة سوء السمعة، ويُسقط عنهم حق الشهادة في المحكمة، لأن اليهودي الذي يشارك في عمل من هذا النوع يكون كمن يعلن بأن "لا علاقة له بإله إسرائيل". ومن الواضح أن هذا الحكم ملائم جداً لحاجات الفلاح أو الحرفي اليهودي، أو لحاجات طوائف يهودية صغيرة تستخدم أموالها لإقراض غير اليهود. ولكن بحلول القرن السادس عشر، كان الوضع مختلفاً كثيراً في أوروبا الشرقية (في بولندا بصورة رئيسية).

فقد كانت هناك مجتمعات يهودية كبيرة نسبياً، وكانت تشكل الأكثرية في العديد من المدن. وكان الفلاحون الخاضعون لنظام القنانة، الذي لا يختلف كثيراً، عن العبودية، في وضع لا يكاد يسمح لهم بالاقتراض، بينما كان إقراض النبلاء من عمل قلة من اليهود الشديدي الثراء. وكان العديد من اليهود يتعاملون تجارياً، بعضهم مع بعض.

لقد ابتُدع في هذه الظروف، الترتيب التالي، (المسمى الفتاوي التجارية – هيتر عيسكا) لقروض بين اليهود، ذات فوائد، لا تنتهك حرفية الشرع، لأنها رسمياً، ليست قرضاً على الإطلاق. فالدائن "يستثمر" ماله في عمل المدين التجاري، مشترطاً مبلغاً من المال منصوصاً عليه (وهو في الحقيقة فائدة القرض) وذلك كحصة الدائن "من الأرباح" أما الشرط الثاني، فيفترض بأن المدين سيحقق ربحاً كافياً لإعطاء الدائن حصته، إلا إذا ادعى المدين عكس ذلك، وثبّت ادعاءه بشهادة لحاخام المدينة، أو للقاضي الحاخامي، الخ – اللذين يرفضان بموجب ترتيب، الادلاء بشهادة في قضايا من هذا النوع.

وكل ما هو مطلوب، بالممارسة، أخذ نصّ لهذه الفتوى، مكتوب بالأرامية، وغير مفهوم بتاتاً، من الأكثرية الساحقة، وتعليقه على جدار الغرفة التي تجري فيها المعاملة (وتُعرض نسخ لهذا النص في فروع المصارف الإسرائيلية كافة)، أو يحتفظ بهاذ النص في صندوق – ليصبح من ثم، القرض ذو الفائدة بين دائن ومدين يهوديين، عملية شرعية تماماً، لا غبار عليها.

السنة السبتة

بحسب الشرع التلمودي (على أساس ليفيتيكوس، 25)، يجب أن تُترك الأرض المملوكة من اليهود في فلسطين (16)، ارضاً بلا زرع كل سنة سابعة (سبتية)، عندما يُحظر كل العمل الزراعي على مثل هذه الأرض (بما في ذلك الحصاد). وهناك شواهد وفيرة تدل على أن هذا القانون كان مطبقاً بحذافيره طوال ألف عام تقريباً، من القرن الخامس ق.م. وحتى اختفاء الزراعة اليهودية في فلسطين. وفيما بعد، ولما لم تعد هناك فرصة تتيح تطبيق هذا القانون عملياً، أبقي عليه نظرياً كما هو، من دون مساس. ولكن مع إقامة أولى المستعمرات الزراعية اليهودية في فلسطين، في العقد الثامن من القرن التاسع عشر، أصبح هذا القانون موضوع اهتمام عملي. فالحاخامات المتعاطون مع المستوطنين ابتدعوا من باب المساعدة، فتوى، ما لبث خلفاؤهم فى الأحزاب الدينية الصهيونية، فيما بعد، أن عملوا على إعطائها صفة الكمال، فأصبح هذا القانون ممارسة اسرائيلية ثابتة.

يعمل هذا القانون كما يلي: قبل السنة السبتية بوقت قصير، يعطي وزير الشؤون الداخلية الإسرائيلي، الحاخام الرئيسى وثيقة تجعله المالك الشرعي للأراضي الإسرائيلية كافة، الخاصة منها والعامة. فيذهب الحاخام الرئيسي الى شخص غير يهودي، مسلحاً بهذه الورقة، فيبيعه أراضي إسرائيل كافة، (بما فيها المناطق المحتلة منذ العام 1967)، وذلك لقاء مبلغ رمزي من المال. وتكون هناك وثيقة أخرى منفصلة، تنص على أن "الشاري" سوف "يعيد بيع" الأرض الى الشخص الذي باعه إياها، بعد انقضاء السنة. وتُكرر هذه المبادلة التجارية، عادة، كل سبع سنوات مع الشاري نفسه.

لا يعترف الحاخامات غير الصهيونيين بشرعية هذه الفتوى (17)، وهم يدّعون، وعن حق، بأن القانون الإسرائيلي، ما دام يحظر على اليهود بيع أراض في فلسطين الى الأغيار، فإن هذه المبادلة التجارية برمتها، مبادلة قائمة على خطيئة، وبالتالي، فإنها لاغية وباطلة. إلا أن الحاخامات الصهيونيين يردون على ذلك بالقول، بأن المحظور هو عملية بيع حقيقية وليس عملية بيع غير حقيقية!

الحلب يوم السبت

كان هذا الحرم في أزمنة ما بعد – التلمود، وقد فُرض من خلال عملية زيادة التشدد الديني المذكور أعلاه. وكان يمكن التقيد بهذا الحظر بسهولة، في الشتات، بما أن اليهود الذين كانوا يملكون الأبقاء كانوا، عادة، على درجة من الثراء تمكنهم من استخدام خدم من غير اليهود، يمكن أن يُطلب منهم القيام بعملية الحلب (باللجوء الى انتحال الأعذار التي نصفها أدناه). وكان يهود المستعمرات اليهودية الأوائل، في فلسطين، يستخدمون العرب لهذه الغاية ولغيرها من الغايات. ولكن كانت هناك حاجة الى فتوى بهذا الشأن في ضوء الفرض بالقوة لسياسة العمل العبري الصهيوني. (وكان لهذا الأمر أهمية خاصة قبل إدخال وسائل الحلب الممكننة في أواخر الخمسينات). وهنا أيضاً نشأ خلاف بين الحاخامات الصهيونيين وغير الصهيونيين.

وبحسب الحاخامات الصهيونيين يصبح الحلب الممنوع مباحاً شرط ألا يكون الحليب أبيض اللون، بل مصبوغاً باللون الأزرق. ويقتصر استخدام هذا الحليب السبتي الأزرق اللون، على صناعة الأجبان، فتُغسل الصبغة الزرقاء في مصل اللبن. وقد ابتدع الحاخامات غير الصهيونيين، خطة ذات دلالة أكثر غموضاً (كنت شاهداً شخصياً على تطبيقها في كيبوتس للمتدينين عام 1952). فقد اكتشف هؤلاء نصاً قديماً يسمح بإفراغ ضروع البقرة يوم السبت، فقط من أجل اراحتها من المعاناة التى يسببها انتفاخ ضروعها، ولكن بشرط متشدد يقضي بترك الحليب يُهدر، سائلاً على الأرض.

واليكم الآن ما يجري عمله في الواقع: يذهب أحد المستوطنين الاتقياء صباح يوم السبت، الى حظيرة البقر ويضع الجرادل تحت الأبقار (إذ لا يوجد

حظر على هذا النوع من العمل في الأدب التلمودي كافة). ومن ثم يـذهب الى الكنيس من أجل الصلاة. فيأتي رفيقه بـ "النية الصـادقة" لتخفيـف آلام هذه الحيوانات، بجعل حليبهـا يسـيل علـى الأرض. ولكـن إذا صـادف وجـود جردل هناك، هل يصبح هذا الرفيق مجبراً على رفعه من مكانه؟ بالطبع لا.

إنه يكتفي بتجاهل الجرادل، ويؤدي مهمة الرحمة التي يتولاها، ثم يـذهب الى الكنيس. ويأتي أخيراً، رفيق ثالث نم الأتقياء، فيدخل الى حظيرة البقـر ويكتشـف لدهشته العظيمة، الجرادل المليئـة بالحليـب، فيضعها فـي بـراد ويلحق برفاقه في الكنيس. والآن، أصبح كل شـيء على ما يـرام، وليسـت هناك حاجة لهدر المال على الصبغة الزرقاء.

المحاصيل المختلطة

لقـد أصـدر الحاخامـات الصـهيونيون فتـاوي مماثلـة بالنسـبة الـى الحظـر المفروض على بذر نوعين مختلفين من البذار في الحقل نفسه (بالاستناد الى ليفيتيكوس، 19:19). إلا أن علم الاقتصاد الزراعي الحديث أظهر بأن بذر البذار المختلط في بعض الحالات (خصوصـاً فـي زراعـة العلـف) مـربح جـداً. ولقد اختـرع الحاخامـات فتـوى يسـتطيع رجـل واحـد بموجبهـا، بـذر الحقـل بالطول، بنوع واحد من البذار، فيما يأتي رفيقه من بعده، في اليوم نفسـه، ويبذر الحقل بالعرض، بنوع آخر من البذار. إلا أن هذه الطريقة اعتُبـرت هـدراً للعمل أكثر من اللزوم، فكان أن ابتُكرت طريقة أفضل: يجمع رجل واحد نوعاً واحداً من البذار، في كومة بمكان عام، ويغطيهـا بـاحتراس، بكـيس أو بلـوح من الكرتون. ثم يضع نوعاً آخر من البذار فوق هذا الغطاء. فيـأتي فيمـا بعد رجل آخر ويصيح صيحة تعجب أمام شـهود، قـائلاً: "إننـي بحاجـة الـى هـذا الكيس أو لوح الكرتـون" فيزيلـه بطريقـة يخـتلط فيهـا البـذار ببعضـه، بصـورة "طبيعية". ويأتي أخيراً، رجل ثالث، فيُقال لـه: "خـذ هـذا البـذار وابـذره فـي الحقل"، فيشرع في فعل ذلك. (18)

المواد المخمرة

ينبغي ألا تؤكل، أو تُحفظ بحوزة يهودي، خلال أيام عيد الفصح السـبعة (أو الثمانية خـارج فلسـطين). وكـان يجـري توسـيع مفهـوم "المـواد المخمـرة" بصورة متواصلة، كما أن النفور حتـى مـن رؤيتهـا خـلال العيـد، قـارب حـدود الهسـتيريا. وتتضمن هـذه المـواد أنـواع الطحـين كافـة وحتـى الحبـوب غيـر المجروشـة. وكان بالإمكان احتمال هذا الأمرفـي المجتمـع التلمـودي الأول، لأنهم كاانوا آنذاك يخبزون عادة، الخبز (المخمر أو غير المخمر)، مرة واحـدة في الأسـبوع؛ وكانت العائلة الفلاحية تسـتخدم آخر كمية متبقية من مؤونة السنة السـابقة من الحبوب، لصنع الخبز غير المخمر مـن أجـل العيـد الـذي

يؤذن بحلول موسم الحصاد الجديد. إلا أن المحافظة على هذه الفريضة، في أوضاع اليهود الأوروبيين، في مرحلة ما بعد التلمود، كانت صعبة على العائلة اليهودية من الطبقة المتوسطة، بل أكثر صعوبة على تجار الذرة. ولذلك ابتُكرت فتوى، تباع بموجبها كل هذه المواد الى أحد الأغيار، في عملية بيع غير حقيقية، قبل حلول العيد، ثم تُعاد وتُشترى منه، بصورة أوتوماتيكية، بعد العيد. والشيء الوحيد الذي ينبغي فعله هو وضع هذه المواد المحرمة كلها في مكان مقفل طوال فترة العيد. وقد جعلوا في إسرائيل من عملية البيع غير الحقيقية هذه، عملية فعّالة أكثر. فاليهود المتدينون "يبيعون" موادهم المخمرة لحاخاماتهم المحليين، الذين "يبيعونها" بدورهم، الى الحاخامات الرئيسيين فيقوم هؤلاء ببيعها الى أحد الأغيار، وبذلك، تصبح عملية البيع بموجب الفتوى، عملية يُفترض أن تشمل أيضاً، المواد المخمرة العائدة لليهود الذين لا يمارسون الفرائض الدينية.

أغيار يوم السبت (الغوييم)

ربما كانت الفتاوي المطورة أكثر من غيرها، تلك الفتاوي المتعلقة بـ"أغيار (غوييم) يوم السبت". وكما ذكرنا أعلاه، فقد كانت سلسلة الأعمال المحظورة يوم السبت، تتوسع باستمرار. ولكن سلسلة الأعمال التي ينبغي القيام بها، أو الإشراف عليها لتلبية بعض الحاجات لزيادة الراحة، ما زالت هي الأخرى، تتوسع أيضاً. وينطبق ذلك بصفة خاصة، على أزمنتنا الحديثة، ولكن الإحساس بتأثير التطور التكنولوجي كان قد بدأ قبل وقت طويل. فالحظر الذي كان مفروضاً على جرش الحبوب في يوم السبت، لِنَقُل في فلسطين القرن الثاني، كان أمراً بسيطاً نسبياً، لفلاح أو لحرفي يهودي، كان يستخدم المطحنة اليدوية للأغراض البيتية. ولكن هذا الحظر كان أمراً مختلفاً تماماً بالنسبة الى مستأجر الطاحونة المائية أو الهوائية – إحدى أكثر المهن شيوعاً في أوروبا الشرقية. ولكن حتى مشكلة إنسانية بسيطة من نوع الرغبة في تناول كوب من الشاي الساخن بعد ظهر يوم من أيام السبت، تصبح مشكلة أكبر بوجود السماور، الذي يتصدر الغرفة، ويستخدم بانتظام خلال أيام الأسبوع، وهذان الأمران مثالان اثنان فحسب، من بين عدد كبير جداً، مما يُسمى "مشاكل المحافظة على فرائض يوم السبت". ويمكن للمرء أن يقول، وهو على يقين، بأن هذه المشاكل بالنسبة الى مجتمع يقتصر أفراده على اليهود الأرثوذوكس، كانت، على الأقل خلال القرون الثمانية أو العشرة الأخيرة، مشاكل لا حل لها من دون "مساعدة" الأغيار. وهذا الأمر صحيح اليوم، في "الدولة اليهودية"، أكثر مما كان قبلها، لأن العديد من الخدمات العامة، مثل توفير المياه والغاز والكهرباء، تندرج في هذه القائمة، واليهودية الكلاسيكية لم تكن تستطيع العيش لأسبوع بكامله، من دون أن تستخدم بعض الأشخاص من غير اليهود.

ولكن هناك عقبة كبيرة في وجه استخدام غير اليهود للقيام بهذه الأعمال يوم السبت، من دون فتاوي خاصة بهذا الشأن، فالأنظمة التلمودية تمنع اليهودي من الطلب الى غير يهودي أن يقوم بأي عمل يُحظر عليه القيام به بنفسه، أيام السبت (19). وسوف أصف هنا نوعين فقط من أنواع الفتاوي الكثيرة التي تُستخدم لأغراض من هذا النوع.

هناك أولاً، طريقة التلميح التي تعتمد على منطق السفسطة الذي يصبح الطلب الآثم بموجبه طلباً ليس عليه لوم إذا صيغ بمكر. والتلميح كقاعدة، يجب أن يكون "مبهماً"، ولكن في حالات الحاجة الشديدة يصبح التلميح "الواضح" مباحاً، وعلى سبيل المثال، يُلقّن الجنود الإسرائيليون، في كتيّب، صدر حديثاً، حول المحافظة على الفرائض الدينية، كيف يتكلمون مع العمال العرب، الذين يستخدمهم الجيش، كأغيار يوم السبت. ففي الحالات الملحة كمثل أن يكون الطقس بارداً جداً، ويجب إشعال النار، أو عندما تكون هناك حاجة للنور من أجل إجراء طقس من الطقوس الدينية، يمكن لجندي يهودي تقي أن يستخدم التلميح "الواضح"، فيقول للعربي: "الطقس بارد هنا (أو المكان معتم هنا)". ولكن التلميح "المبهم" يجب أن يكفي عادة. كمثل أن يُقال: "لو كان المكان هنا أكثر دفئاً لكان مريحاً أكثر" (20) وطريقة "التلميح" هذه منفرة ومخزية بصفة خاصة، بالنظر الى استخدامها عادة، مع غير اليهود الواقعين كلية تحت سيطرة مستخدميهم اليهود بسبب فقرهم ومكانتهم الاجتماعية التابعة، والخادم من الأغيار (أو المستخدم في الجيش الإسرائيلي) الذي لا يتمرّن على تفسير "التلميحات المبهمة" يُصرف من عمله بلا رحمة.

أما الطريقة الثانية، فتُستخدم في الحالات التي يُطلب فيها من الأغيار يوم السبت، القيام بعمل روتيني، أو منتظم، بدون إشراف يهودي، وليس القيام بعمل عرضي أو خدمة شخصية، يمكن "التلميح" بشأنها عندما تنشأ الحاجة إليها وبموجب هذه الطريقة – المسماة "التضمين المُضمر" (هابلاغاه) ليوم السبت بين أيام الأسبوع – يُستأجر الأغيار "للأسبوع بكامله (أو السنة بكاملها)"، من دون الاتيان بذكر السبت في العقد. ولكن لاعمل لا يُؤدّى في الواقع، إلا يوم السبت. ولقد استخدمت هذه الطريقة في الماضي، لاستئجار الأغيار من أجل إطفاء الشموع في الكنيس بعد صلاة مساء السبت (عوضاً عن تركها تحترق وتذهب سدى). ومن الأمثلة الإسرائيلية الحديثة: ضبط إمدادات المياة أو حراسة خزانات المياه أيام السبت (21).

وتُستخدم أيضاً فكرة مماثلة أخرى، في حالة اليهود، ولكن لغاية مختلفة. فاليهود محظر عليهم تلقي أي مدفوعات لقاء عمل قاموا به يوم السبت، حتى ولو كان هذا العمل من الأعمال المباحة. والمثل الرئيسي هنا، يتعلق بالمهن المقدسة: أي الحاخام، أو العالم التلمودي، الذي يلقي موعظة أو يعلم يوم السبت، والمرتل المنفرد الذي يرتل فقط في أيام السبت، وفي

غيرها من الأيام المقدسة (التي ينطبق عليها تحريمات مماثلة)، والقندلفت، وأمثاله من المسؤولين. وقد كانت هذه الوظائف في الأزمنة التلمودية، وحتى من بعدها ببضعة قرون، في بعض البلدان، وظائف لا رواتب لها. ولكن ما أن أصبحت فيما بعد، مهناً مدفوعة الراتب حتى باتت تُستخدم فتوى "التضمين المضُمر"، وبات هؤلاء يُستأجرون على أساس "شهري" أو "سنوي"، ولكن المشكلة كانت معقدة بصفة خاصة، في حالة الحاخامات وعلماء التلمود، لأن التلمود يحرم عليهم تلقي أي مدفوعات لقاء الوعظ والتعليم، أو تدريس مسائل تلمودية حتى في أيام الأسبوع (22). لذلك كانت لهم فتوى إضافية تنص على أن راتبهم ليس راتباً حقيقياً على الإطلاق، بل "تعويض على التكاسل" (رمي باتالاه). وتكون النتيجة المجتمعة لهاتين الروايتين أن الأجر الذي يُدفع في الحقيقة، لقاء عمل يؤدى بصورة رئيسية أيام السبت، أو فقط أيام السبت، ينقلب بسحر ساحر، الى أجر يُدفع لقاء التكاسل في أيام الأسبوع.

النواحي الاجتماعية للفتاوى

سمتان اثنتان من سمات هذه الممارسات، وغيرها من الممارسات المماثلة، تستحقان ذكراً خاصاً.

أولاً، إن سمة من السمات الغالبة لنظام الفتاوى هذا، ولليهودية الكلاسيكية بقدر رما هي قائمة عليه، هي سمة الخداع – وخداع الله بالدرجة الأولى، إذا كنا نستطيع أن نستخدم هذه الكلمة لكائن متخيّل، يخدعه بكل سهولة، الحاخامات الذين يعتبرون أنفسهم أكثر حذاقة منه. ولا يمكن تصوّر تناقض أكبر من التناقض القائم بين إله التوراة (خصوصاً إله الأنبياء الأعظم)، وبين إله اليهودية الكلاسيكية. فإله اليهودية الكلاسيكية على شبه أكبر بإله روما القديم، جوبيتر، الذي كان يخدعه المتعبدون له أيضاً، أو الآلهة الموصوفة في مؤلف فرايزر "الغصن الذهبي".

فاليهودية الكلاسيكية من وجهة النظر الأخلاقية، تمثل عملية انحطاط ما زالت مستمرة. وإن لهذا الانحطاط الى مجموعة من الطقوس القبلية الفارغة والخرافات السحرية تبعات اجتماعية وسياسية شديدة الأهمية. إذ ينبغي أن نتذكر بأن خرافات اليهودية الكلاسيكية هي بالضبط، التي تستحوذ على ألباب الجماهير اليهودية، أكثر مما تفعل تلك الأقسام في التوراة، أو حتى في التلمود، التي تنطوي على قيمة دينية وأخلاقية حقيقية. (ويمكننا أن نلحظ الأمر نفسه في ديانات أخرى تمر في هذه الآونة، بمرحلة انتعاش). فما هي المناسبة التي تُعتبر شعبياً، "أقدس" المناسبات وأجلّها في السنة الدينية اليهودية، والتي تحضرها أعداد كبيرة جداً من اليهود الذين هم، فيما عدا هذه المناسبة، يهود بعيدون جداً عن الدين؟ إنها صلاة "كول يندري" عشية يوم الغفران (يوم كيبور) – وهي

عبارة عن ترتيل لفتوى تتميز تميزاً خاصاً بالمخادعة والسخف، تُعلن مسبقاً بواسطتها، العهود الخاصة كافة التي تُقطع لله في السنة التالية، عهوداً باطلة ولاغية (23)؛ أن إنها، في مجال الديانة الشخصية، صلاة قديش، التي يتلوها الأبناء في أيام الحداد، على أرواح آبائهم وأمهاتهم من أجل رفع أرواحهم الراحلة، الى الجنة – وهي تلاوة لنص آرامي غير مفهوم من الغالبية العظمى. ومن الواضح تماماً، بأن التقدير الشعبي الذي يُعطى لهذه الطقوس، وهي الأقسام الأكثر خرافة في الديانة اليهودية، لا يُعطى للأقسام الأفضل فيها.

ومع خداع الله يُخدع اليهود الآخرون، ولمصلحة الطبقة اليهودية الحاكمة بالدرجة الأولى؛ فمن ميّزات نظام الفتاوي إنه لم يسمح بابتداع أي فتوى لمصلحة اليهود الفقراء تحديداً، فاليهود، على سبيل المثال، الذين كانوا يعانون من المجاعة، ولكنهم لم يكونوا على شفير الموت فعلاً، لم يُعطوا قط، الإذن من حاخاماتهم (الذين لم يعانوا غالباً، من الجوع)، بتناول أي نوع من الطعام المحرم، مع أن الطعام المُعد بالطريقة اليهودية (الكاشيرا) طعام غالي الثمن.

أما السمة الغالبة الثانية للفتاوى فهي أنها في القسم الأكبر منها، فتاوى تحفزها روح الربح. وإن هذا المزيج من النفاق وحافز الربح هو الذي سيطر على اليهودية الكلاسيكية سيطرة مطّردة. وفي إسرائيل، حيث تتواصل هذه العملية، يدرك الرأي العام الشعبى الأمر إدراكاً مبهماً، على الرغم من عملية غسل الدماغ التي يعززها النظام التربوي ووسائل الإعلام. فالمؤسسة الدينية – أي الحاخامات والأحزاب الدينية – وبالمشاركة، الطائفة الأرثوذوكسية ككل، الى حد ما، مكروهتان تماماً من عامة الناس في إسرائيل. وأحد أهم أسباب هذه الكراهية، هي بالضبط سمعتهما بالازدواجية وتقاضي الرشوة. ولكن الرأي العام (الذي قد يكون متحاملاً في أغلب الأحيان) يختلف بالطبع عن التحليل الاجتماعي. ولكن الصحيح فعلاً، في هذه الحالة الخاصة، أن لدى المؤسسة الدينية اليهودية ميلاً قوياً الى المخاتلة والارتشاء بسبب التأثير المُفسد للديانة اليهودية الارثوذوكسية. ولأن الدين في الحياة الاجتماعية العامة هو أحد المؤثرات الاجتماعية فحسب، فإن تأثيره على جمهور المؤمنين ليس كبيراً الى درجة تضاهي تأثيره على الحاخامات وقيادات الأحزاب الدينية. فأولئك اليهود المتدينون الصادقون في إسرائيل، ولا ريب أنهم في غالبيتهم صادقون، ليسوا كذلك بسبب تأثير ديانتهم وحاخاماتهم عليهم، ولكن رغماً من هذا التأثير. ومن جهة أخرى، فإن مستوى المخاتلة والارتشاء والفساد، في تلك المجالات القليلة في الحياة العامة في إسرائيل، التي تخضع بكليتها لسيطرة الدوائر الدينية، مستوى ذائع الصيت، ويجاوز الى حد بعيد، المستوى "المتوسط" الذي يصبر عليه المجتمع الإسرائيلي غير المتدين عموماً.

وسنرى في الفصل الرابع كيف تتصل سيطرة حافز الربح في اليهودية الكلاسيكية، ببنية المجتمع اليهودي، وكيف تعبر عن نفسها في المجتمع العام الذي عاش اليهود في وسطه، في الفترة "الكلاسيكية".

وإنني هنا، أرغب فقط في إبداء الملاحظة بأن حافز الربح لا يميّز اليهودية، في فترات تاريخية كافة.

ووحده الذي حجب هذه الحقيقة، كان ذلك الارتباك الذي يتميّز به من يتمسك بالنظريات دون الواقع، الساعي وراء "جوهر" اليهودية الميتافيزيقي غير المحدود بالزمن، بدلاً من النظر الى واقع التغييرات التاريخية في المجتمع اليهودي. (ولقد شجعت الصهيونية هذا الارتباك باعتمادها على "الحقوق التاريخية" التي استخلصتها من التوراة استخلاصاً لا علاقة له بالتاريخ). وهكذا، يدعى المدافعون عن اليهودية والمقارعون الحجة بالحجة، وعن حق تماماً، بأن التوراة معادية لحافز الربح، فيما يبدي التلمود لا مبالاة تجاهه. ولكن السبب في ذلك عائد الى الأوضاع الاجتماعية المختلفة التي جرى تأليفهما فيها. وكما سبق أن أشرنا أعلاه، فقد جرى تأليف التلمود في منطقتين معرّفتين تعريفاً واضحاً، وفي فترة كان يشكل فيها اليهود الذي يعيشون فيهما، مجتمعاً قائماً على الزراعة، قوامه الفلاحون بصورة رئيسية – وهو بالحق، مجتمع يختلف اختلافاً شديداً عن مجتمع اليهودية الكلاسيكية.

وسوف نتناول في الفصل الخامس، وبالتفصيل، المواقف المعادية، والتضليلات التي مارستها اليهودية الكلاسيكية ضد الأغيار. ولكن ما هو أهم كسمة اجتماعية، الخداع الذي يحركه حافز الربح، والذي مارسه الأثرياء اليهود ضد رفاقهم من الفقراء اليهود (مثل الفتوى الخاصة بالفائدة على القروض). وينبغي لي أن أقول هنا، وعلى الرغم من معارضتي للماركسية، أن في الفلسفة أم في النظرية الاجتماعية، بأن كارل ماركس كان على حق تماماً، عندما ميّز اليهودية في مقالتين له، كديانة يسيطر عليها السعي وراء الربح – ولكن شرط أن ينحصر هذا القول باليهودية كما عرفها هو، أي اليهودية الكلاسيكية، التي كانت في شبابه قد دخلت فترة انحطاطها. صحيح أن ماركس قال هذا الكلام اعتباطاً، وهو قول لا صلة له بالتاريخ، ويفتقر الى البراهين، ولكن من الواضح بأنه توصل الى مثل هذا الاستنتاج ببصيرته، وفي هذه الحالة – وبالحدود التاريخية الصحيحة – فقد كانت بصيرته صائبة.

الحواشي

1- إنني، وكما فعلت في الفصل الثاني، استخدم مصطلح اليهودية الكلاسيكية للإشارة الى اليهودية الحاخامية في الفترة ما بين عام 800م تقريباً، وحتى نهاية القرن الثامن عشر. وتتوافق هذه الفترة، بصورة مجملة، مع القرون الوسطى اليهودية، بما أن ظروف القرون الوسطى، بالنسبة الى معظم اليهود، دامت لوقت أطول مما دامت بالنسبة الى الأمم الأوروبية الغربية، أي حتى فترة الثورة الفرنسية. ولذلك، فإن ما أسميه "اليهودية الكلاسيكية" يمكن اعتباره كيهودية القرون الوسطى.

2- سفر الخروج، 11:15.

3- المصدر نفسه، 3:20-6.

4- ارميا النبي، 10؛ لقد كرر أشعيا الثاني الفكرة نفسها فيما بعد، أنظر النبي اشعيا، 44.

5- إن الكابالاه هي بالطبع، عقيدة باطنية، ولقد انحصرت بالعلماء دراستها بالتفصيل وفي أوروبا بعد حوالي العام 1750، اتخذت إجراءات متشددة للحفاظ على سريتها ومنع دراستها إلا من قبل علماء ناضجين وبإشراف متشدد. ولم يكن لدى الجماهير اليهودية في أوروبا الشرقية معرفة حقيقية بالعقيدة الكابالية؛ ولكن الكابالاه كانت تشرح اليهم بشكل خرافات وممارسات شعوذة.

6- يعتقد العديد من الصوفيين اليهود المعاصرين بإمكانية تحقيق الهدف نفسه بسرعة أكبر، عن طريق الحرب ضد العرب، وطرد الفلسطينيين، أو حتى من خلال إنشاء العديد من المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية. أما الحركة المتنامية من أجل إنشاء الهيكل الثالث، فتقوم ايضاً، على أساس أفكار من هذا النوع.

7- إن الكلمة العبرية المستخدمة هنا – يهود، وتعني حرفياً الاتحاد في الخلوة، هي نفسها الكلمة المستخدمة في النصوص الشرعية (التي تتناول الزواج، الخ) للإشارة الى الاتصال الجنسي.

8- ما يسمى "كيدوشا شليشيت" (القدسية الثالثة)، التي أدخلت في صلاة "وفالتسيون" في نحو نهاية القداس الصباحي.

9- سفر الأعداد، 29.

10- تتوضح قوة الشيطان وصلته بغير اليهود، من خلال العادة الشائعة، التي أرسيت تحت نفوذ الكابالاه في العديد من المجتمعات اليهودية، ابتداء من القرن السابع عشر. فعلى المرأة العائدة من

حمام التطهر الطقسي الشهري (الذي يصبح وصالها مع زوجها من بعده، أمراً ملزماً) أن تحترس من التقاء أحد المخلوقات الشيطانية الأربعة: الأغيار والخنزير والكلب، أو الحمار. فإذا حصل والتقت بأحد هذ المخلوقات عليها أن تأخذ حماماً آخر. ومن بين الدعاة الى هذه العادة "شيفيت موسار"، وهو كتاب يتناول السلوك الأخلاقي اليهودي، نُشر للمرة الأولى في عام 1712، وكان أحد أكثر الكتب شعبية بين اليهود في أوروبا الشرقية والبلدان الاسلامية حتى أوائل هذا القرن، وما زال يُقرأ على نطاق واسع في بعض الدوائر الأرثوذوكسية.

11- هذا الأمر موصوف بتفاصيله الدقيقة. فغسيل الأيدي على سبيل المثال، يجب ألا يجري تحت حنفية، بل ينبغي غسل كل يد على حدة، في ماء من قدح (من حجم صغير موصوف) يُمسك باليد الأخرى. وإذا كانت يدا المرء قذرتين فعلاً، يستحيل تماماً تنظيفهما بهذه الطريقة، ولكن من الواضح أن الاعتبارات الذرائعية من هذا النوع، اعتبارات لا تدخل في هذا الموضوع. واليهودية الكلاسيكية توصي بعدد كبير جداً من الطقوس التفصيلية، من هذا النوع، والتي تعلق عليها الكابالاه أهمية عميقة. فهناك على سبيل المثال، قواعد دقيقة عديدة تتعلق بالسلوك في دورة المياه. واليهودي الذي يتغوّط في الخلاء ينبغي ألا يفعل ذلك في الاتجاه الشمالي – الجنوبي، لأن الشمال مرتبط بالشيطان.

12- "التفسير" هو تعبيري الخاص. فوجهة النظر الأرثوذوكسية الكلاسيكية (وارثوذوكسية يومنا الحاضر) هي أن المعنى التلمودي، حتى حيثما يكون مخالفاً للمعنى الحرفي، كان دائماً المعنى المعمول به.

13- بحسب قصة مشكوك في صحتها، فإن مهرطقاً يهودياً شهيراً في القرن التاسع عشر، لاحظ في هذا الصدد بأن الآية القائلة "لا ترتكب الزنى" مكررة مرتين فحسب. "فيفترض على المرء بالتالي، أن يمتنع عن أكل الزنى أو طبخه، ولكن لا بأس من الاستمتاع به".

14- تُرجمت الكلمة العبرية، "رعاخا"، في ترجمة الملك جيمس (ومعظم الترجمات الانكليزية الأخرى)، ترجمة غير دقيقة الى حد ما، وكما لو كانت تعني "جارك". ولكن انظر II صموئيل، 17:16 حيث تُرجمت الكلمة نفسها في ترجمة الملك جيمس، ترجمة صحيحة أكثر، بحيث تعني "صديقك".

15- "الميشناه" متحررة من كل هذا تحرراً لافتاً، والاعتقاد بالشياطين والشعوذة بصفة خاصة، أمر نادر نسبياً فيها. ولكن التلمود البابلى من ناحية أخرى، مليء بالخرافات الفاضحة.

16- أو في أنحاء عديدة من فلسطين، إذا توخينا الدقة، والمناطق التي ينطبق عليها القانون هي على ما يبدو، المناطق التي كانت فيها غلبة ديمغرافية يهودية، في حوالي 150 – 200م.

17- ولذلك ينظم اليهود الأرثوذوكس غير الصهيونيين في إسرائيل، حوانيت خاصة في السنوات السبعية، تبيع الفاكهة والخضار التي زرعها العرب في أرض عربية.

18- في شتاء 1945 – 1946، شاركت أنا بنفسي، في مثل هذه الاجراءات، وكنت صبياً في الثالثة عشرة من العمر. وكان الرجل المسؤول عن العمل الزراعى فى المدرسة الزراعية الدينية التى كنت أدرس فيها، يهودياً شديد القتوى، وكان يعتقد بأنه من الأسلم لو أدى الخطوة الحاسمة، خطوة إزالة اللوح، يتيم يقل عمره عن ثلاثة عشر عاماً، غير قادر على أن يكون مذنباً بارتكاب خطية، أو أن يجعل أي شخص آخر مذنباً بارتكاب خطية.(إن ولداً تحت هذه السن لا يمكن أن يكون مذنباً بارتكاب خطيئة، فوالده، إذا كان له أب، يُعتبر مسؤولاً). ولقد شُرح لي كل شيء شرحاً دقيقاً، قبل القيام بالمهمة، بما في ذلك فريضة القول، "إنني بحاجة الى هذا اللوح"، في وقت لم تكن هناك حاجة اليه في الواقع.

19- إن التلمود على سبيل المثال، يمنع اليهودي من التمتع بضوء شمعة يضيئها أحد الأغيار في يوم السبت، إلا إذا كان هذا قد أضاءها لاستخدامه الخاص، قبل أن يدخل اليهودي الى الغرفة.

20- لقد استخدم أحد أعمامي في وارسو، قبل العام 1939، طريقة حاذقة أكثر. فقد استخدم خادمة غير يهودية تدعى ماريسيا، وكان من عادته أن يستيقظ من قيلولة يوم السبت، أن يقول بهدوء في البداية، "كم يكون جميلاً لو" – ثم يرفع صوته صائحاً، ". . . تجلب لنا ماريسيا كوباً من الشاي!" لقد كان يُعتبر رجلاً تقياً جداً، ويخاف الله، ولا يمكن أن يخطر في باله شُرب نقططة من الحليب قبل انقضاء ست ساعات كاملة على تناوله اللحم. ويوجد في مطبخه حوضان، أحدهما لغسيل الصحون التى استُخدمت لأكل اللحم، والآخر للصحون التي استُخدمت للحليب.

21- تحصل أخطاء مؤسفة بين الحين والآخر، لأن بعض هذه الأعمال لا عناء فيها أبداً، وتسمح للموظفين بالتعطيل لمدة ستة أيام كل

أسبوع. ولقد أصيبت مدينة بناي براك (بالقرب من تل أبيب)، التي يقطنها حصراً تقريباً، يهود أرثوذوكس، أصيبت بصدمة في الستينات بسبب فضيحة فظيعة. فلقد اكتشف عند وفاة أحد "أغيار يوم السبت"، الذي استخدموه لما يزيد على عشرين عاماً، ليشرف على تزويداتهم من المياه أيام السبت، بأنه لم يكن مسيحياً في الحقيقة بل كان يهودياً؛ طالبت المدينة عندما وظفت خلفه الدرزي، بوثيقة حكومية تشهد بأن الموظف الجديد من الأغيار وبأن نسبه من الأغيار الصرف، وحصلت عليها. ويقال من مصدر موثوق، بأنه طُلب من الشرطة السرية البحث والتحقيق في هذا الأمر.

22- وعلى العكس من ذلك، يمكن القيام بتدريس الكتاب المقدس لقاء مبلغ من المال. ولقد اعتُبرت هذه الوظيفة دائماً، وظيفة، قليلة الأجر.

23- وهناك طقس آخر "غاية في الأهمية"، يقضي بنفخ بوق مصنوع من قرن الكبش، في رأس السنة، والغاية منه إرباك الشيطان.